المحاضرة رقم09

نظريات الإبداع الأدبي

أ . نظرية الخلق

أولا . نشأة نظرية الخلق

ترتبط نظرية الخلق بنظرية التعبير على الصعيد الفلسفي والفني والأدبي، فإذا كانت نظرية التعبير نتاجا لصعود البرجوازية وتقدمها فإن نظرية الخلق كانت نتاجا لفكرة الطبقة نفسها في زمن أفولها وإبان أزمتها الفكرية والروحية[1] .كان عصر الانحطاط السياسي والاقتصادي والأدبي والفكري في أواخر القرن التاسع عشر بداية ظهور نظرية الخلق ،وذلك جاء كرد فعل على تحول الفن إلى سعلة في العالم الرأسمالي،فهي في أصولها حركة احتجاج ونقد عنيف لوضع الأدب المتردي،لذلك نادت بالفن الخالص،أو الفن الحقيقي الذي يرفض ارتباطه بحليف ملوث فاسد (الأخلاق ، العلم ، المجتمع)، لذلك رفضت أن يوظف الأدب في خدمة أهداف نفعية[2].

تتكئ نظرية الخلق على العودة بالفن والأدب إلى مكانته السامية والابتعاد عن السوق التجاري الرأسمالي، غير أن أصحاب هذه النظرية وضعوا أنفسهم عرضة لكثير من الاعتراضات المنطقية فبدلا من التوجه إلى جذور المشكلة اتجهوا إلى معالجة الظاهرة مفصولة عن جذورها وأسبابها الحقيقة، فالفنان الخالص على سبيل التمثيل يرفض الفن من أجل النجاح والشهرة ، مع أن حب النجاح صفة إنسانية ولا تكون دائما معارضة للفن أو تحط من قيمته[3].برز في ضوء نظرية الخلق وصفٌ للعمل الفني والأدبي،

---

[1] - شكري عزيز الماضي : في نظرية الأدب، ص65.

[2] - المرجع نفسه: ص65.

[3] - شكري عزيز الماضي : في نظرية الأدب

يستبدل (التُّحفة) ب(الوثيقة)، فالعمل في نظرية التعبير كما في نظرية المحاكاة هو وثيقة، ولذلك برز الاهتمام بالعلاقة التي تصل بينه وبين موضوع التوثيق، الذي يقع خارجه، وهو العالم الخارجي في المحاكاة، وشخصية المؤلف في نظرية التعبير. أما في نظرية الخلق فقد أصبح العمل تحفة، لأنه استحال إلى غاية في ذاته، ولم يبق وسيلة إلى ما هو خارجه.[1]

2- **جذور نظرية الخلق:**

أ -**الفلسفة المثالية الذاتية لدى كانط** (1724- 1804م) توصل في فَصْله بين الجميل والمفيد، إلى الاهتمام بخصائص العمل الفني في ذاته، وحسبان كل عمل فني وحدة جوهرية ذاتية ينحصر فيها جماله، وتنحصر فيها الغاية منه، من دون النظر إلى مضمونه أو علاقته بما هو خارج عنه. ولذلك امتاز الحكم الجمالي لديه عن الحكم العقلي والحكم الخُلقي، بأنه صادر عن الذوق صدوراً لا تدفع إليه منفعة، بحيث تتطلب التملك كما في اللذة الحسية أو تحقيق الموضوع كما في الرضا الخلقي. ويقود ذلك إلى ما يسميه كانت (الغائية من دون غاية) وهي خاصية الجمال التي تحيله إلى غاية لموضوعه، إذ يكفينا إحساس المتعة به عن السؤال عن الغاية من ورائه.

2-فلسفة شوبنهور (1788-1860م) وصف الرؤية الجمالية بأنها تجاوزٌ المألوف في النظر إلى الأشياء، ونظر إلى الشيء موضوع الإدراك الجمالي من جهة تخلُّصه من كل علائقه بحيث يملأ وحده وعي متأمله. فالجمال صفة للعالَم حين نتأمَّله لذاته، ولذلك فإن سمو الفن لدى (**شوبنهور**) متأت من كونه يحرِّرنا من عبودية الحياة؛ أي من عبودية الرغبات، يقدِّم مناخاً من التأمل الروحي الخالص من الغاية، ويهيِّئ للاهتداء إلى الزهد المطلق.

3-الشاعر والناقد الإنجليزي توماس إرنست هولم (1883- 1917م) نجد في فكره إيماناً بالكلاسيكية ودعوة للعودة إليها، وذلك في المسافة نفسها التي يملؤها بالنفور من الرومانسيين الذين رأى أنهم يملؤون الشعر بالعواطف و الميوعة الوجدانية، التي لا ترى الشعر إلا فيما يتضمنه من نواح وعويل. ولذلك كانت الفكرة الفنية لديه شكلية تؤكد على قيمة الصورة وأهميتها، لكنها الصورة التي تفارق ذلك المعين الرومانسي المترقرق بالعواطف بحثاً عما يصفه بالقصيدة الجافة. وهي لذلك صور تستمد مادتها من المرئيات

[1]-الشريف حبيلة : نظرية الخلق ، متاح على الشبكة.

التي يقرنها بما هو عادي ويومي وتافه، حتى تفقد مألوفيتها وعاديتها وتمسُّها كيمياء الخلق الشعري التي تصنع منها كائنات إبداعية جديدة.

ويعد الشاعر الفرنسي شارل بودلير (1821-1867) أول من قال بفكرة الفن للفن وقد وضع لديوانه عنوانا ذا دلالة (زهور الشر) ورأى أن موضوع الشعر هو الشعر نفسه، وأن الشعر العظيم الذي يستحق اسم الشعر هو ذلك الذي يكتب لمجرد المتعة في كتابته ، وينضاف على ؤلاء الأعملا كل من **إدغار ألان بو ، إليوت،توماس أرنست هيوم ، عزرا باوند**

غير أن كثير منه لم يستمر في اتجاهه حيث عاد وربط الأدب بالأخلاق والمجتمع والعلم و الدين.

3- جوهر نظرية الخلق:

أسس نظرية الخلق من المحاور التالية

- **علاقة الشعر بالحياة** :يرى برادلي أن الحياة تملك الحقيقة ولا ترضي الخيال أما الشعر فانه يرضي الخيال ولا يمتلك الحقيقة الكاملة لذاك **فالشعر ليس هو الحياة** بل هما ظاهرتان متوازيتان لا تلتقيان. ،و إذا حدث تقاطع بينها فسد الأدب،لأنه سيصبح موجهاً لغاية أخرى من غايات الحياة،و سيكون على حساب الجانب الجمالي فيه.

غير انه يعود فيؤكد أن بين الشعر والحياة اتصال خفي ويضيف بأن التجربة الشعرية غاية في ذاتها وقيمتها هي قيمتها الذاتية.والحكم على الشعر يفرض دخول التجربة وتتبع قوانينها و أن ننسى ما يربطنا بعالم الواقع .والفن لا يجب أن يوضع مقابلا للمنفعة الإنسانية ؛لأن العمل الفني الناضج بحد ذاته منفعة

- **علاقة الشعر بالموضوع لا قيمة للموضوع** ،الفكرة،أو المحتوى و المهم هو كيف استطاع هذا الشاعر أن يحول هذا الموضوع الذي اختاره من موضوع خارجي إلى عمل فني. فالموضوع لا يمنح العمل الأدبي أية قيمة ،فالفرق بين الشعراء حين يكتبون في موضوع واحد دليل على أن الخلق الفني يعود بالدرجة الأولى إلى طبيعة الأديب وقدراته الفنية ومدى سيطرته على تجربته وتمكنه من عناصر فنه ، وليس بالضرورة أن يكون اختيار

د.روفيا بوغنوط محاضرات في مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس دراسات لغوية ـ ٢٠٢١-٢٠٢٢

التغني بالوطن والبطولات القومية موضوعا لقصيدة ما أبلغ من اختيار موضوع أخر كالتغني بالأزهار مثلا.[1]

-**علاقة الشعر بالعواطف و الانفعالات** : العمل الفني ليس نتيجة للشعور والمشاعر والعواطف وإنما قيمة العمل الأدبي تكمن في قوة الابتكار والخلق الأدبي التي تتمثل في جعل اللغة قادرة على الإيحاء وامتلاك قوة التأثير فهناك قصائد تكتب في موضوع واحد وتجربة واحدة ومناسبة واحدة وتصدر عن عاطفة واحدة لكنها تتفاوت في جودتها فواحدة جيدة وأخرى رديئة... والسبب يرجع إلى قدرة الشاعر على الخلق الفني فالعواطف والتجربة والموضوع والمناسبة لا تؤثر في القيمة الفنية للعمل وهذا يعني أن الأدب ليس تعبيرا عن **الانفعال كما تزعم نظرية التعبير** فلو كان كذلك لكانت التجربة الانفعالية باطن الفن وجوهره.[2]

- **علاقة اللغة بالخلق الفني** :العمل الأدبي كائن خلقه الشاعر من ذاته واللغة مادة الأدب أما معنى الخلق الفني فهو سيطرة الأديب على اللغة مما يضيفه عليها من ذاته وروحه،واللغة وسيلة الأديب للخلق الأدبي فاللغة هي موسيقاه وألوانه وفكره والمادة الخام والذي يحدد قيمة العمل الأدبي هو العلاقة التي تنشأ بين اللغة والتجربة الشعورية والفروق الدقيقة التي نشأت من هذه العلاقة.[3]

-**العمل الأدبي خلق حر** :يرى كروتشيه بان الفن حدس خالص أو صور خالصة متجردة من الفلسفة أو التاريخ أو العلم بل ومن الأخلاق واللذة وهي مستقلة عن أي غاية عملية أو نفعية فالفن خلق حر ،حيث يقول: ‹ أن الفكر وسيلة للحياة لكن الحياة تصبح في لحظة ما وسيلة وأداة للفكر نفسه.فما من شاعر يخلق أثره حرا من شروط الزمان والمكان ولكن متى تم خلق القصيدة فقد أضيف إلى الوجود عنصر لم يكن موجودا من قبل ›.يقول كروتشيه: « أن الفن هو التكافؤ الكامل بين العاطفة التي يحسها الفنان وبين

[1]- -شكري عزيز ماضي، في نظرية الأدب،ص 60.

[2]-المرجع نفسه،ص60.

[3]-المرجع نفسه،ص60.

الصورة التي يعبر بها عن هاته العاطفة ونحن لا نستطيع أن نطلب من الفنان الخلاق إلا شيئا واحدا هو التكافؤ التام بين ما ينتج وما يشعر به››

– **المعادل الموضوعي،الفن الموضوعي** :ليس الشعر تعبيرا عن المشاعر والعواطف والانفعالات بل هروب منها وليس تعبيرا عن الذات أو الشخصية بل فرار منها.إن الشعر خلق. بهذه المقولات يقدم اليوت مفاهيم جديدة لما يسميه **"الفن الموضوعي"** ومن ثم "النقد الموضوعي" و يوضح عملية الإبداع الفني فيقول "ليس على الشاعر أن يبحث عن انفعالات جديدة وإنما عليه أن يستعمل الانفعالات الموجودة بالفعل ليخرج منها إحساسات ليست في الانفعال العادي بالمرة.

يحاول توماس اليوت (1888-1965) أن يبرهن صحة مقولاته حين يرى أن الشاعر ينفعل بتجربة ما ويتعاطف معها غير أن عليه ألا يعبر عن انفعاله بل عليه أن يتخلص من هذا الانفعال **بإيجاد معادل موضوعي له يساويه ويوازيه**، ويعين الشاعر في ذلك عقله وتعين الشاعر في تجسيد انفعاله فيما يعادل لغته. أي أن على الأديب ان يحول عواطفه وأفكاره وتجاربه إلى شيء جديد أو مركب جديد أي إلى خلق جديد ويتم **خلق المعادل الموضوعي للانفعال** بانفصال الأديب عن ذاته فكأن للأديب شخصيتين واحدة تنفعل وأخرى تخلق والأديب لا يبلغ درجة النضج في الخلق الفني إلا إذا ازداد انفصاله عن ذاته المنفعلة[1] **المعادل الموضوعي**: مصطلح نقدي يشير إلى الأداة الرمزية التي يستخدمها النقاد والمبدعون للتعبير عن بعض المفاهيم المجردة، ويوظفها الشعراء لأبعاد ذواتهم وأحاسيسهم عن العمل الإبداعي ، يوفر مصطلح المعادل الموضعي عنوانا للطريقة التي يقدم بها الفن مجموعة من التمثيلات التي قد لا يُصَرح بالعاطفة فيها ، لكن هذه التمثيلات تعبر عن العاطفة.

4- مبادئ نظرية الخلق:

أ. تستند إلى الفلسفة المثالية المفرطة في الذاتية

[1]- المرجع نفسه،ص62

ب. الأديب خالق لكن لا دور له بعد اكتمال النص.

ج. الأدب حدس أي معرفة مباشرة،و هو تكنيك لا علاقة له بالخارج.

د. المتلقي هو الذي يتوجه نحو الأدب،لأن الأدب تجسيد للجمال و التناغم الذي يفتقده المتلقي في عالمه المعيش.

د.روفيا بوغنوط مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس ـ دراسات لغوية ـ ٢٠٢١-٢٠٢٢

د.روفيا بوغنوط مادة نظرية الأدب سنة ثانية ليسانس ـ دراسات لغوية ـ ٢٠٢١-٢٠٢٢